

الأفعال الكلامية في الخطاب الأخلاقي عند
السيد رضي الدين علي ابن طاووس الحلبي
(ت ٦٦٤هـ) دراسة تداولية

*Verbal Actions in the Moral Discourse
of Sayyid Radhi Al-Din Ali Ibn Tarwoos
Al-Hilli (D. 664 A.H.)
A Deliberative Study*

أ. د رحيم كريم علي الشريفي
جامعة بابل / كلية الدراسات القرآنية
أ.م. د حسين علي حسين الفتلي

*Prof. Dr. Rahim Karim Ali Al-Sharifi
University of Babylon/College of Quranic Studies
Asst. Prof. Dr. Hussein Ali Al-Fatly*

مُلخَص البَحْث

من المباحث التداولية المهمة والرئيسة التي ترشّحت من المنهج اللساني الحديث، ظاهرة على السطح تقنيّة (الأفعال الكلامية) التي تمثّل عين هذا المنهج، وهي تقنيّة نجد جذورها ضاربة في التراث اللغويّ القديم، وتعدّ من تجلّيات التفكير والتشريع اللغويّ عند العرب، إلّا أنّ الدرس اللسانيّ الحديث أعطاهما فضاءً رحباً في الدراسة والبحث.

ولمّا كان الخطاب الأخلاقيّ من الخطابات الوعظية والإرشادية والتهذيبيّة، جاءت الأفعال الكلامية لتكون البوصلة الحقيقيّة لهذا الخطاب، سواء أكانت مباشرة (حقيقيّة)، أم أفعالاً كلامية غير مباشرة، وارتأى الباحثان أن يكون الخطاب الأخلاقيّ للسيد رضيّ الدين ابن طاووس الحليّ (ت ٦٦٤هـ) الأرض الخصبة، والمورد العذب؛ لمعرفة أسرار فعالية هذه الآلية (الأفعال الكلامية) في خطابه.

Abstract

From the most important deliberative, which was nominated by the modern linguistic approach. The technique of "verbal actions" that represent the eye of this approach was revealed on the surface. This technique is rooted in the ancient linguistic heritage, it is one of the manifestations of thinking and language legislation among the Arabs, but the tongue lesson in the modern language is higher than the wide ranges and boundaries. Since the moral discourse of the preaching sermons, guidance and etiquette, verbal actions came to be the real compass of this speech, whether direct "real" or "indirect" verbal actions, the researchers felt that the moral discourse of Sayyid Radhi al-Din ibn Tawoos al-Hilli (d. 664 A.H) as a fertile land, to show the effectiveness of this mechanism (verbal Actins) in his speeches.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، المبلغ رسالة ربه، وهو عليها مؤتمن أمين، أما بعد:

فإن الإنتاج اللغوي المثمر قد شكّل موضوعاً رحباً للدراسات العلمية، إذ انتظمت مجموعة من العلوم منها: (علم الخطاب) الذي ينظر إليه على أساس أنه وسيلة تطبيقية ذات فعالية تقتضي التفاعل المتبادل بين المتكلم والسامع (المتلقي)، أو بين المنشئ والمستمع، أو بين المرسل والمرسل إليه، وفقاً لضوابط معينة، فضلاً عن ذلك توافر المعرفة الواعية وآليات الخطاب ومساراته، من أجل الوصول إلى الغايات المرجوة، والنتائج المنشودة، ومن الآليات والمناهج الحديثة التي ظهرت في المشهد اللساني الحديث (التداولية) بوصفها منهجاً لغوياً حديثاً، يشاغف المجالات التداولية (الواقعية)، أي: معاينة الاستعمالات اللغوية بلحاظ رُصد قصديّة المتكلم وإرادته حينما يُنشئ خطاباً، واستجلاء هويّة هذا الخطاب من جهة معرفة قواعد التخاطب اللساني وما يريده المتكلم الذي كان يعينها حينما أنشأ الخطاب.

ومن المباحث التداولية المهمة والرئيسة التي ترشّحت من هذا المنهج اللساني الحديث، ظاهرة على السطح تقنية (الأفعال الكلامية) التي تمثّل عين هذا المنهج، وهي تقنية نجد جذورها ضاربة في التراث اللغوي القديم، وتعدّ من تجليات التفكير والتشريع اللغوي عند العرب، إلا أن الدرس اللساني الحديث أعطاهم فضاءً رحباً في الدراسة والبحث.

ولمّا كان الخطاب الأخلاقيّ من الخطابات الوعظيّة والإرشاديّة والتهذيبيّة، جاءت الأفعال الكلاميّة لتكون البوصلة الحقيقيّة لهذا الخطاب، سواء أكانت مباشرة (حقيقيّة)، أم أفعالاً كلاميّة غير مباشرة، وارتأى الباحثان أن يكون الخطاب الأخلاقيّ للسيد رضيّ الدين ابن طاووس الحليّ (ت ٦٦٤هـ) الأرض الخصبة، والمورد العذب؛ لمعرفة أسرار فعاليّة هذه الآليّة (الأفعال الكلاميّة) في خطابه.

التمهيد

لا ريب أن الأخلاق ليست نصوصاً ومتوناً تلقى وتُحفظ، فإننا عندما نريد دراسة الخطاب الأخلاقيّ تداولياً نرمي إلى قضية مهمة، فلا يتعلّق الأمر بتعاليم أخلاقيّة بالمعنى الوعظيّ والإرشاديّ للعبارة، على ما للأخلاق العامّة وتعاليمها المحفوظة في خزائن الكتب والأسفار الدينيّة والحكميّة والأدبيّة من أهميّة في تأهيل العقل لطلب فلسفتها، فضلاً عن أن البشرية لا تزال تُدين لهذا النمط من التخليق في ما تبقى من معنى لاجتماعها الإنسانيّ، غير أن الأمر هنا يتعلّق باستشكال السؤال الأخلاقيّ من وجهة نظر فلسفيّة يجعل الأخلاق مجالاً لاقتحام النسبيّة والعرضيّة والديناميّة والبراغماتيّة وما شابه، أي السؤال الذي يدرس الأخلاق حقيقتها وجدواها وأناطها ضمن النشاط الفرديّ والجماعيّ الشخصيّ والمؤسّساتيّ في حياة البشر ضمن صيرورة سوسيو-اقتصاديّة وثقافيّة تكون الأخلاق منها أمراً ينتج ويؤخّر ويتأثّر به (المعنى النيتشيّ)، إنّها إعادة إنتاج قيم مختلفة تنهض على السؤال النقديّ، أي: السؤال الذي يبحث في انسحاب أخلاق وبروز أخرى محلّها، أو صراع أخلاق مع أخرى، فقد ظلّت الأخلاق تشكّل درسا واحداً لدى مختلف الثقافات والحضارات؛ لتنهض على أساس التلقين والتعلّم والتدريب، وتكوين الملكة الأمرّة-الحاتّة على خيرٍ محدّد ثابت لا يتغيّر، والناهيّة الزاجرة عن شرٍّ محدّد لا يتغيّر، لكن سرعان ما حدث تحوّل في فلسفة القيم، سعى- ولا يزال يسعى- إلى قلب هذه القيم، وإحداث تغييرات جذريّة في المنظومة الأخلاقيّة للإنسان^(١).

ويرى إدريس هاني: «أن دعوى إمكان الاستغناء عن تعلم الأخلاق والاستزادة منها يُعدُّ جهلاً بامتياز، بل إنَّ الجهل الذي يتسع بصورة جدلية مع تقدُّم العلوم، وسيادة الغرور والإحساس بالاكْتفاء بذلك الوهم الذي سُمِّي يوماً بموضوعية العلم، وأقصد بذلك أن الأخلاق ليست أمراً يحضُر في وجداننا كاملاً وبالفطرة، بل هو الشيء الذي نعلِّمه ونسُمُّو به، وقد نتفوق فيه بقدر ما نخفق، نتقدِّم فيه بقدر ما نتخلف، نبتكر فيه بقدر ما نُقلِّد، فكلُّ خُلُقٍ هو ارتقاءٌ في العلم، فلا يستوي المتخلف وغيره بالمقدار نفسه»^(٢).

تناول طه عبدالرحمن الفيلسوف الأخلاقي موضوع المبدع المحدث، والمبدع المختار، فالأوَّل يصف وضع العالم الإسلامي عامَّة ولاسيما الجانب الأخلاقي، كاشفاً أسباب الوضع، وطرائق التصدي له، ممارساً له، ممَّا يعدُّه نوعاً من (التقريب التكاملي)، إذ يرى أن تغيير الوضع في العالم الإسلامي لا يكون إلا بتوسيع المفاهيم والتصورات الإسلامية المقررة حتَّى تتلاءم مع المفاهيم والتصورات الحديثة، بل حتَّى تنضبط بها انضباطاً، فيثبت لها كلُّ ما ثبت نفعه المادِّي في هذه، وينفي عنها كلَّ ما خالف العقل على مقتضاه الأداتي أو يتأوَّله بما يوافق، أمَّا الثاني، فيصف هذا الوضع ويقف على أسبابه وطرائق التصدي له، ممارساً ما يعدُّه نوعاً من (التقريب التداولي)، إذ يرى أن تغيير الوضع في العالم الإسلامي لا يكون إلا بتهذيب المفاهيم والتصورات الحديثة حتَّى تتلاءم مع المفاهيم والتصورات الإسلامية، بل حتَّى تنضبط بها انضباطاً، فيثبت لها كلُّ ما ثبت نفعه الروحي في هذه، وينفي عنها كلَّ ما خالف الوحي على مقتضاه القيمي أو يتأوَّله بما يوافق^(٣).

ويمكن القول: إن ابن طاووس في خطابه الأخلاقي كان يرنو إلى (التقريب التداولي)، فيرى أن تغيير الوضع في عصره لا يكون إلا بتهذيب المفاهيم والتصورات،

من أجل مقاربتها وملاءمتها مع المفاهيم والتصورات الإسلامية، كي تنضبط معها انضباطاً، راجياً ثبات النفع الروحي في هذه، وذراً كل ما خالف الوحي على مقتضاه القيمي الأخلاقي، أو رغباً في تأويله بما يوافق الوحي؛ لذا فقد فطن ابن طاووس من قبل إلى لزوم المقاربة التداولية للأدعية والوصايا والمواعظ الإرشادية والتهديبية وإسقاطها في حيز الإنتاج والتأثير، ومسايرتها للواقع الإنساني، فلا يكتفى بقراءتها وحفظها، بل لا بد من العمل بها وتطبيقها في الواقع، قال ابن طاووس: «إن الذي أودعناه كتابنا هذا ما هو مجرد زيارات وعبادات، ولا كان المقصود جمع صلوات ودعوات، وإنما ضمنا ما لم يُعرف فيما وقفنا عليه المخالف والمؤلف مثل الذي هدانا الله ﷺ بتصنيفه إليه، من كيفية معاملات الله ﷺ بالإخلاص في عبادته ومن عيوب الأعمال التي تفسد العمل وتخرجه من طاعة الله ﷺ إلى معصيته - إلى أن قال - مع أن الذي عملنا هذا العمل لأجله قد كان سلفنا أجرة أكثر من استحقاقنا على فعله، وأعطانا في الحال الحاضرة ما لم تبلغ آمالنا إلى مثله، ووعدنا وعد الصدق بما لا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين من فضله، فقد استوفينا أضعاف أجرة ما صنّفناه ووضعناه، ومهما حصل بعد ذلك إذا عمل عامل بمقتضاه ورغب فيما رغبناه فهو مكسب على ما وهبناه»^(٤).

فتأثير الخطاب الأخلاقي الطاووسي لم يأت من مجرد شحن كتبه بالنظريات الأخلاقية المجردة، بل لروحيته الأثر الأبلغ في اجتذاب القلوب إلى الخير والصلاح والإخلاص في العمل، ومن هنا اشترطوا في الواعظ أن يكون متعظاً، زد على ذلك أن الفهم الطاووسي الحاذق قد تجلّى في أقواله وأفعاله، فقد وصفه من ترجم له بأنه كان عالماً عاملاً^(٥)، فقد نهج ذلك المنهج الأخلاقي الذي أحسن فيه الأخلاقيون أيما إحسان، وأفاد به المنظومة الأخلاقية أيما فائدة.

المبحث الأول

الأفعال الكلامية المباشرة

هي أقوال تُؤدَّى بها أفعال فيها يمكن للمرء أن ينجز أفعالاً بواسطة اللغة، نحو: أزوّجك ابنتي، فمجرّد التلفُّظ بالقول تصير الابنة زوجة؛ ومن ثم يحدِّث فعلٌ كلامي^(٦). يتضح في ضوء المسار التطوري للتداولية أن المقاربة التداولية قامت على الأسس التي وضعتها فلسفة اللغة مع كلِّ من أوستين، وسيرل، وغرايس، فقد عمِل كلُّ واحدٍ من جهته على تقديم رؤية لمقاربة اللغة في إنجازاتها المختلفة.

ابتداءً أوستين أولاً بالتمييز بين الجُمْل الوصفية، والجمل الانشائية، فالأولى تخضع لحكم الصدق والكذب، في حين ترتبط الثانية بالنجاح والإخفاق، غير أن أوستين سرعان ما سيكشف أنه لا جدوى من هذا التقسيم، وينزع عنه نسبياً في ضوء تأكيدِه أن كلَّ جملة تامّة مستقلة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميّز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل الأوّل: هو العمل القوي، وهو الذي يتحقّق ما إن تلفّظ بشيء ما، أمّا الثاني، فهو العمل المتضمّن في القول، وهو الذي يتحقّق بقولنا شيئاً ما، وأمّا الثالث، فهو عمل التأثير بالقول، وهو الذي يتحقّق نتيجة قولنا شيئاً ما، ومن ثمّ فإنَّ كلَّ جملة عند التلفُّظ - في نظر أوستين - توافق على الأقل إنجاز عمل قوليّ وعمل متضمّن في القول، وأحياناً توافق القيام بعمل تأثير القول^(٧).

وبحسب التقسيم الأوستيني، الذي نجزم قاطعين أن جذوره ضاربة في التراث

العربيّ بلحاظ حقائق وقواعد أسسها العرب، منها الحقيقة والمجاز والسياق وتقنياته، من نحو سياق المقام (لكلِّ مقامٍ مقال)، وسياق الحال وغيرها^(٨).

جاء تقسيم الأفعال الكلامية على قسمين: مباشرة، وغير مباشرة.

إنَّ اللُّغَةَ بحسب نظرة التداوليّين، ولاسيّما (جون أوستين) ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وقد تقدّم بنظرية بسط القول فيها: عبر جملة محاضرات ومقالات ضمّنها نظريته بخصوص الأفعال اللغوية التي ظهرت بعد وفاته بعنوان (كيف نُنجِزُ الأشياء بالكلمات؟) والذي تُرجم إلى الفرنسية عام ١٩٧٠^(٩)، وأولى الخطوات التي تحدّث عنها موقفه من الأثر الذي تحدّثه الجمل في إقرار حدثٍ ما، وهو ما تكون بموجبه صادقة أو كاذبة، أي التي تقوم على وفق معيار الصدق والكذب، زد على ذلك جمل التعجّب والاستفهام والأمر والنهي... وغيرها.

الخبر

يُعرّف الخبر بأنّه: «القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات، ومَنْ حدّه بأنّه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمه الدور»^(١٠)، وقد كان للخطيب القزويني رأي حاسم في ماهية الصدق والكذب، قال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصرٌ فيها، ثمّ اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، هذا هو المشهور وعليه التعويل»^(١١)، وتأسيساً على ذلك فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، فالكذب في الخبر منهم مَنْ يجعله الخبر الكاذب ما كان مخالفاً للواقع، ومنهم من يجعله مخالفاً لاعتقاد المتكلّم، وسواء كان هذا الموقف أو ذلك، فإنّ القيمة الصدقيّة للكلام هي التي تمنحه مشروعية التداول، غير أنّ هذا اللّا صدقيّ استطاع أن يجد له أو لنفسه مكاناً

أو فضاءً، ويستقطب جمهوراً خاصاً اهتم به، وتتبع خطواته عبر خطابات نصية مختلفة تلتقي جميعها في هذه القيمة اللأ صدقية التي هي التخيل^(١٢).

وقد يخرج الخبر عن غرضيه الأصليين (الحقيقيين)، فائدة الخبر: (إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، أو الكلام)، ولازم الفائدة: «وهو أن يلقي الكلام على عالم به»^(١٣)، وهذا هو الأصل في أغراض الخبر، لكنّه قد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر؛ فيفيد معاني مجازية تُفهم من السياق وقرائن الأحوال.

وسنحاول استجلاء النصوص الخبرية الأخلاقية الطاوسية (الإخباريات التقريرات)، والهدف منها: وصف واقعة معينة في ضوء قضية، وتتميز باحتماها الصدق والكذب، بأنّها المطابقة فيها إلى العالم الخارجي، فيكون القول مطابقاً للوقائع الموجودة في ذلك العالم، وهذه التقنية (الإخباريات) تعدّ إضافة من (سيرل) لما أبداه (جون أوستين) من قبل من (حكيميات، وتنفيذيات، وسلوكيات الأفعال الكلامية المباشرة وغيرها)، إذ أضاف (الإخباريات - التقريرات -، والتوجيهات (الطلبيات)، و الالتزامات (الوعديات)، والتعبيريات، والإعلانيات).

قال ابن طاووس مخبراً عن نفسه أنّه الذي يشير بالتقى ويعمل بالهدى، وهو الرجل الذي أخبر عنه الإمام الصادق عليه السلام: «أقول: ومن حيث انقرض ملك بني العباس لم أجد، ولا أسمع برجل من أهل البيت يشير بالتقى ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشى، كما قد تفضّل الله به علينا باطناً وظاهراً، وغلب ظنيّ أو عرفت أنّ ذلك إشارة إلينا وإنعام، فقلت ما معناه: يا الله إنّ كان هذا الرجل المشار إليه أنا فلا تمنعني من صوم هذا يوم ثالث عشر ربيع الأوّل (...). وقلت في معناه: يا الله إنّ كنت أنا المشار إليه فلا تمنعني من صلاة الشكر وأدعتها، فقلت فلم أُنمّع، بل وجدت لشيء مأمور،

فصليتها ودعوت بأدعيتها، وقد رجوت أن يكون الله تعالى برحمته قد شرفني بذكره في الكتب السالفة على لسان الصادق عليه السلام (١٤)، فللمح أن الجملة الخبرية (أقول) وما بعدها تحمل معنى واحداً، وهو الدلالة على أنصاف ابن طاووس بالأخلاق والفضائل والشوائب التي أخبر بها الإمام الصادق عليه السلام أنه سيظهر رجل من ذرية أهل البيت عليهم السلام يتصف بالتقى ويعمل بالهدى، وانطوت هذه الجملة في بنيتها السطحية قرينة التكلم والخطاب وفعل إنجازي ظاهر، فهي تمثل ملفوظاً إنجازياً صريحاً (أقول)، وهذا ما خلص إليه (أوستين) بالقول: إن معيار الصدق أو الكذب مرتبط بمعيار النجاح أو الفشل، والعكس صحيح، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاحظ (أوستين) أن الجمل اللغوية كلها يمكن أن تقوم بحسب المعيارين معاً، ومن ثم يستحيل التمييز بين الملفوظات الوصفية والملفوظات الإنجازية، وتوصل إلى أن جميع الجمل اللغوية هي قول وفعل في الوقت نفسه، ومن ثم يمكن اختزالها وتصنيفها بعنوان واحد هو الملفوظات الإنجازية، إلا أننا نجد نوعين من الملفوظات: إنجازية صريحة، وإنجازية ضمنية، من نحو:

الأولى: إن الجو بارد اليوم. الثانية: أقول: إن الجو بارد اليوم.

فالثانية حملت في بنيتها السطحية لفظاً إنجازياً صريحاً هو (أقول) (١٥).

وقال ابن طاووس كاشفاً عن تعظيم اليوم السابع والعشرين من رجب المبارك، يوم مبعث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ووصف الحدث، وأخبر عنه، فضلاً عن تقريره، في ضوء الكشف عما فعله المبعث المعظم من تغيير الحال، والأخلاق، والنفوس، والمنقلب، قال: «وروح حياة ذلك السبق للأولين والآخرين، في اليوم السابع والعشرين من رجب بالعجب وشرف المنقلب، فاستشقتة عقول كانت هامدة أو بائدة، واستيقظت به قلوب

كانت راقدة، وجرى شراب العافية بكأس آرائه العالية في أماكن أسقام الأنام فطردها، وأحاط بجيوش النحوس فشردها، وتهدد نفوس العقول المتهجمة على العقول فأبعدها، حتى ألغها بعد الافتراق في الآفاق وعطفها على الوفاق والاتفاق»^(١٦).

فالقوة الإنجازية المباشرة للإخباريات انطوت على وصف الحدث، والإخبار عنه، فضلاً عن تقريره، لذلك قال ابن طاووس: «زدنا في الاجتهاد في هذه الصفات والسيره فيهم بالتقوى والمشورة بها والعمل معهم بالهدى، وترك الرشى قديماً وحديثاً، لا يخفى ذلك على من عرفنا، ولم يتمكن أحد في هذه الدولة القاهرة من العترة الطاهرة، كما تمكنا نحن من صدقاتها المتواترة واستجلاب الأدعية الباهرة والفرامين المتضمنة لعدلها ورحمتها المتظاهرة، وقد وعدت أن كل سنة أكون متمكناً على عاداتي من عبادتي أعمل فيه ما يهديني الله إليه من الشكر وسعادة دنيائي وآخرتي»^(١٧).

ومن النصوص الطاوسية التي نلمح فيها أفعالاً كلامية مباشرة مقتصرة على دلالة الصيغة نفسها (الدلالة الحقيقية)، قوله في وصية لابنه: «ومتى اشتبه عليك شيء من نتائج العقول، فالزم الصوم، والخلوة، والتذلل للقادر على كل مأمول فإنك تجده ﷺ كاشفاً لك ما اشتبه عليك وباعثاً إلى عقلك وقلبك من أنوار هدايته ما يفتح أبواب الصواب لديك»^(١٨)، فدلالة فعل الأمر (فالزم الصوم) دلالة حقيقية (الوجوب)، وهو فعل إنجازي تأثيري.

الزم الصوم ⇐ إنشاء طلبي ⇐ دلالة حقيقية (الوجوب) ⇐ فعل إنجازي تأثيري
ومن المتون الطاوسية الأخلاقية التي تحققت فعلاً كلامياً إنجازياً مباشراً، في ضوء تصور دلالي يتمثل في مراعاة حالة المتكلم، ومنزلته بالنسبة للمخاطب، تأمل بيان ابن طاووس الحليّ حال الرسول الأعظم ﷺ، مع النفر المؤمن الذين ما انفكوا يدعون الله ﷻ

غداة وعشيا لايفترون، استيحاءً من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، قال ابن طاووس «إن ظاهر هذه الآية يقتضي تعظيم الدعاء لله بالغداة والعشيّ وتعظيم الذين يعملون ذلك خالصاً لوجه الله تعالى، فإنّ مقام الرسالة من أبلغ غايات الجلالة، فإذا أمر الله تعالى رسوله، وهو السلطان الأعظم ﷺ أن يصبر نفسه الشريفة المشغولة بالله مع الدعاة بالعشيّ والغداة»^(١٩).

ويظهر شرط الاستعلاء في الخطاب التوجيهي من لدن الله ﷻ لصفيةً ومختاره النبيّ الأعظم ﷺ، في ظلّ توجيهه نحو سلوكٍ معيّن، والتأثير فيه، وفي ذلك إنجاز وإنعام في الصّبر والثبات مع الثلّة المؤمنة، وهذا أمرٌ تأثيريٌّ إنجازيٌّ النصّ أمام محمّد ﷺ ومن تبعه، فهم مدعوون يومياً لتسديد خطى الأقربين في سلوكهم العقديّ، والأخلاقيّ، والاجتماعيّ، وسيظلّ النبيّ محمّد ﷺ والمؤمنون الصادقون المخلصون صادقين مع أنفسهم.

وعودٌ على بدء، فإنّ الخطاب الإنشائيّ المؤدّي بصيغة الأمر الصريح (افعل) (اصبر) جاء بدلالته الرئيسة (الطلب والوجوب)، فالفاعل النبيّ ﷺ، والفعل التأثيريّ الإنجازيّ (اصبر) قد أدّى هذه الدلالة المباشرة.

الإنشاء الطلبيّ (الأمر) ⇐ اصبر ⇐ الدلالة الرئيسة المركزية ⇐ الطلب والوجوب وتأسيساً على ذلك فإنّ الخطاب بحسب قول ابن طاووس الحليّ وتصوّره وفهمه يُعلي من شأن النبيّ ﷺ، وشأن أصحابه المخلصين ممّن عرفوا الله ﷻ حقّ معرفته، بله ذريّته الذين انقطعوا لعبادته، وذابوا في ذاته ﷻ، فالقرب الإلهيّ، والتواصل مع الله ﷻ بالدعاء والمناجاة جسراً حقيقيّاً للظفر بالسعادتين الدنيويّة والآخرويّة.

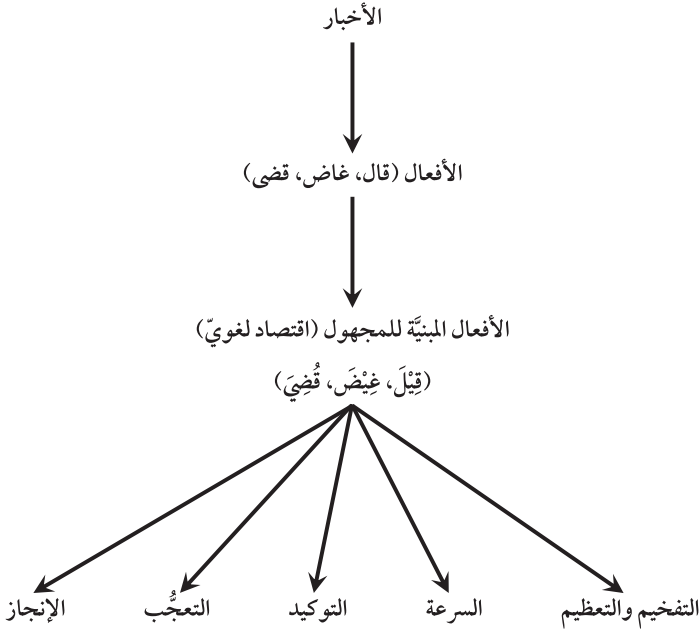
ويرى الدكتور سعد كمّوني أنّ الآية الكريمة تشكّل مظهر الخلق الدائم، إذ تنطوي

على جملة الأفعال الواجبة في هذا المقام (اصبر، لا تعد، لا تطع)، فالنصّ يسمح لنا أن نقارب مقاصده وندلف إلى دلالاته انطلاقاً من واقعنا اللغوي، على أن لا يكون ذلك على حساب نظامه اللغوي، فالتأويل يقتضي أن لا يكون ذلك على حساب نظامه اللغوي، فالتأويل يقتضي أن نخرج بالمفردة من فلكها في النصّ إلى فلكها الاجتماعي؛ لكي نكشف المعين الذي أزرها، ثم نرقبها بعد ذلك في كيمياء النصّ كيف تتفاعل مع سواها^(٢٠).

أشار ابن طاووس الحليّ إلى ما يُحدثه الفعل المبني للمجهول من قوّة إنجاز وتأثير بوصفه فعلاً كلامياً قاهراً، ففي بيان تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، قال: «ومجيء إخباره ﷺ على الفعل المبني للمجهول للدلالة على الجلال والعظمة، وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل قاهر لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن غيره يقول: يا أرض ويا سماء، وإنّ أحداً سواه يقضي ذلك بذلك»^(٢١).

ولم يكتف بذلك، إذ بيّن أن بناء الأفعال (قال، غاص، قضى) للمجهول أشبهم في تفخيم الأمر وتضخيمه، من أجل تصوير حال الانتقام من هؤلاء الظالمين، قال: «ومنها (وقيل)، ولم يقل ﷺ: (قُلْتُ)، أو (قُلْنَا)، فلعَلّ المراد أنّه لَمَّا كان هذا الأمر لا يقدر عليه سواه، كان لفظ (قيل)، مثل (قُلْتُ) أو (قُلْنَا)، ولعلّ المراد تفخيم الأمر، وتعظيم القدر على عادة الملوك في لغة التغليب والقهر، أو لعلّ المراد: أنّه لَمَّا كان الحال حال انتقام، كان الخبر بها باللفظ (قيل) أليق بوصف كامل الرحمة، والإنعام، أو لعلّ المراد أنّ هذا ممّا يزيد ﷺ عظمة ولاجلالة إذا قال: قُلْتُ»^(٢٢).

ويبدو أن الاقتصاد اللغوي في بنية الفعل المبني للمجهول، وقُوَّة بنيتِه، وما يلزم هذا البناء من دلالات (العظمة، والسرعة، والتعجب، والتوكيد، والإنجاز، والتأثير) هو أوفق للسياق المقامي التداولي^(٢٣)، وهذا ما استدعى ابن طاووس إلى التعامل مع هذا الفعل تعاملًا تداوليًّا، واصفًا إيَّاه بـ (الفعل القادر القاهر)، ويمكن بيان إنجازية هذه الأفعال وتأثيرها بالمخطط الآتي:



وتتجلى تقنية السياق، ولاسيما باستثمار القرينة المنفصلة، في تحديد الفعل الكلامي المباشر في الخطاب الأخلاقي الطاووسي، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، بين ابن طاووس وهم أبي علي الجبائي في عدم اقتناص الدلالة المرادة للفعل الكلامي (ساجدين)، إذ حددها بـ (خاضعين)، فجعل خضوعهم له سجودًا؛ لأنَّ الخضوع في اللغة السجود من الخاضع للمخضوع له، ورأى أنَّ «الجبائي قد غفل عن آخر القصة أو

ما كان يحفظ القرآن؛ لأن يوسف لما سجد له أبواه وأخوته قال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، ففسّر هذا السجود المعهود بذلك السجود، فلو كان ذلك خضوعاً من غير سجود ما كان يقول **عَلَيْهِ**: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (٢٤).

فالفعل الكلامي الإنجازي لـ (ساجدين) هو السجود المطلق، سجود التعظيم والإجلال له **عَلَيْهِ**، بدلالة السياق (القرينة المنفصلة)، قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾، وقد نقد ابن طاووس الجبائي؛ لأنه لم يُشغَل هذه التقنيّة من جهة، أو أنه ما كان يحفظ القرآن من جهة أخرى، ولعلّ القول الثاني يُنبئ أنّ ابن طاووس كان من الذين يحفظون القرآن الكريم، فمن لوازم عملية التفسير ولو احقها عند من يقوم بهذه المهمة حفظه كتاب الله **عَلَيْهِ** كما يرى ابن طاووس **الْحَلِيِّ**.

ويتجلى الخطاب الأخلاقي الطاووسي في بيان حال المسارعين إلى الخيرات، السابقين إليها، قال: «قال الفرّاء: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، يبادرون بالأعمال، ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، وقد يُقال: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، أي: سبقت لهم السعادة...» (٢٥).

قال ابن طاووس في تعليقه على تفسير الفرّاء: «أقول: إذا احتمل اللفظ الحقيقة، فما الذي يحمل على تفسيره بالمجاز؟، فإنّ قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ هو المعلوم من الحال بالضرورة؛ لأنّهم سبقوا أعمالهم بالمعرفة، أو بالذي كلفهم إيّاها، وبالرسول الذي دهم عليها، وبمعرفة تلك الأعمال الصالحة، وكانوا سابقين لها، وهي متأخرة عن سبقهم، وهو أبلغ في مدحهم» (٢٦).

فالجملة الاسميّة المكوّنة من المبتدأ (أولئك) اسم إشارة الدال على البعيد، والخبر

(يسارعون) الجملة الفعلية المضارعية تنجز فعلاً كلامياً مباشراً بحسب رؤية مركبة إيمانية إصلاحية تعبيرية، هذه المهمة سبقتها معرفة إنتاجية بعواقب المسارعة إلى الخيرات والتسابق للظفر بها، ومن هنا انمازت هذه المسارعة بمعرفة قبليّة، وهي أس الأعمال، وأصلها، وهو ما عرّف عند الفقهاء في مباحثهم من (فقه الأخلاق) بنية العمل^(٢٧).

في بيان قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ردّ ابن طاووس على مَنْ قال: إنّ معنى إني مهاجرٌ كلٌّ من خرج من داره، أو قطع سبيلاً فقد هاجر، قال: «كان ينبغي أن يذكر معنى المهاجرة إلى الله تعالى؛ لأنّ الله حاضر في المواقع الذي هاجر منه إلى الموضع الذي هاجر إليه، ولعلّ المراد بالمهاجرة إلى الله تعالى الانقطاع إليه بالكلية عن كلّ شاغلٍ، والتجرّد له، وكان إبراهيم كذلك في الوطن الأوّل، لكن ظاهر حال المخالط للناس، أو المتبلى بهم مع اشتغاله بالله تعالى وامتناله لأمره أنّه يكون من جملة طاعته اشتغاله بالناس في الأوّل أو بغير الناس من أسباب الطاعة، فلعلّه أراد أن تكون المهاجرة إلى مجرّد الاشتغال بالله تعالى بغير واسطة من سائر الأشياء، وأمّا قوله: كلٌّ من خرج من داره فقد هاجر، فبعيد من عرف الشرع وعرف العادة؛ لأنّ الخارج من داره، مجتازاً من بلد إلى بلد لا يسمّى مهاجرًا، بل متى قصد المهاجرة والإقامة به»^(٢٨).

ويستفاد من متن ابن طاووس الحليّ أنّ استبعاده الدلالة الحسية للهجرة بمعنى الخروج من الدار، وقطع السبيل قائمة؛ كونها لا تنسجم مع الإيثار الحقيقي، ومتطلبات العقيدة الراسخة؛ لذا رأى أنّ المراد بحسب القوة الإنجازية المستلزمة أنّ المهاجرة إلى الله ﷻ تعني الانقطاع إلى الله ﷻ كليّة، وتأسيساً عليه ينعطف المعنى بأنّجاه الدلالة المعنوية؛ لأنّ المجال التداولي يأبى ربط المهاجرة في الآية بالانتقال من بلد إلى آخر.

المبحث الثاني

الأفعال الكلامية غير المباشرة

إنَّ وظيفة اللُّغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، لكنَّ للُّغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والنهي والتمني والشكر والتهنئة والقسم والتحذير... وغيرها، وليست اللُّغة حساباً منطقيّاً دقيقاً لكلِّ كلمة فيها معنى محدد، ولكلِّ جملة معنى ثابت، إذ لا تنتقل من جملة إلا ما يلزم عنها من جمل، مراعيّاً قواعد الاستدلال المنطقي، بل الكلمة تتعدّد معانيها بتعدّد استعمالنا لها في الحياة اليومية، وتتعدّد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها، فالمعنى هو الاستعمال^(٢٩).

هذا الفهم في توجيه وظيفة الخطاب بوصفه عملية إجرائية غايتها الإبلاغ والاتصال والإقناع، جعلت ابن طاووس يستثمر البعد التداولي للخطاب؛ لأنه آلية كاشفة عن الاستعمال من جهة، ومصوِّرة الحال والمقام من جهة أخرى، وبتواشج هذين العنصرين يتمُّ إصابة الدلالة المرادة، بله القصدية أيضاً.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ردّ ابن طاووس على الفراء في بيان حال أصحاب فرعون المؤمنين الناجين، قال: «قد كانوا في شغل من أن ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر أن يروا فرعون وغرقه، ولكنّه في الكلام كقولك: قد ضربت وأهلك ينظرون فما أتوك ولا أغاثوك؛ يقول: منهم قريب بمرأى ومسمع (...). وإذا كان قد عرف أصحاب

موسى عليه السلام أن فلق البحر لنجاتهم وهلاك فرعون وأصحابه، فكيف لا يكونون متفرّغين لنظرهم ومسرورين بهلاكهم، كما لو قيل لإنسان: ادخل هذه الدار، ليدخل عدوك وراءك فإذا خرجت من الدار وقعت الدار على عدوك، فإنه يكون مسرورًا ومتفرّغًا لنظر هلاك عدوه، ويقال أيضًا: إن أصحاب فرعون لما نزلوا خلف أصحاب موسى عليه السلام جعل طرف البحر والماء الذي بينهم كالشباك الذي ينظر منه بعضهم إلى بعض، فعلى هذه الرواية كانوا ناظرين لهلاكهم ومسرورين به، ويقال: وإن كان هلاك فرعون وأصحابه بعد أن صار موسى عليه السلام وأصحابه على ساحل البحر وأيقنوا بالسلامة، فكيف لا يكونون ناظرين إليهم ومشغولين بالسرور بانطباق البحر عليهم؟ وهل يكون لهم عند تلك الحال، وفي ذلك الوقت شغل إلا مشاهدتهم، ونظرهم كيف يهلكون»^(٣٠).

يتبين في ضوء بيان الفراء وردّ ابن طاووس عليه، أن الفراء قد أجرى التعبير عن الأخبار على مقتضى الظاهر، بأنهم قرييون يرون ويسمعون ومن باب العلم لا من باب الرؤية والسمع، في حين يرى ابن طاووس أن الخبر جاء على خلاف مقتضى الظاهر، وهو (تحريك الهمة والشعور بالفرح والسرور) بالنجاة ورؤية عاقبة الظالمين، وهذا لعمري من صميم البحث التداوي؛ وذلك استجابةً ومراعاةً لموقف السامع النفسي ومقامه، مما يضطرُّ المتكلم إلى تعديل الكلام والتصرّف فيه بما يتلاءم مع الموقف الجديد، ويجعل الكلام يؤدّي الوظيفة التواصلية المنوطة به^(٣١).

وتأسيسًا لمراعاة حال أصحاب موسى عليه السلام المؤمنين بعد أن أنجاهم الله ﷻ وأيقنوا السلامة، أراد الله ﷻ أن يحرك همّتهم ويُسعِرهم بالحسنى والزيادة، أنّهم ظفروا بالنجاة الدنيوية من جهة، وبمعابنتهم عاقبة هؤلاء وهلاكهم، فشعروا بالنجاة الآخروية، والمصير المحمود، وهو مناط الأمر، ومحرز الخاتمة والعاقبة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

إذن في قانون الخبر قد يخرج الكلام على خلاف مقتضيات الأحوال، فيخرج عن قصد من دلالة الرئيسة إلى أغراض مختلفة تستفاد من السياق، وهذا ما يكون في اللغة الإبداعية، إذ يعمد المبدع إلى الخروج عن الأصل والعدول عنه، فيشكل البنية اللغوية لكلامه على خلاف مقتضى الظاهر، مراعيًا في ذلك أمورًا اعتبارية يتطلبها السياق، فتنشأ بلحاظ ذلك أفعالًا كلامية غير مباشرة تستلزم من سياقات الكلام (٣٢).

ويتجلى الفعل الكلامي غير المباشر في الجملة الخبرية في بيان تفسير قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٠-١٤]، قال ابن طاووس رادًا على الجبائي الذي يرى أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ والمؤمنين بأن يدعوه من أجل قتل الخراصين وأن يذمهم ويهلكهم بوساطة المؤمنين أو بعذاب من عنده (٣٣)، قال: «ما نجد لهذا التأويل مطابقة للآية، أو مناسبة لها، وهل هو أمر للنبي ﷺ وللمؤمنين بالدعاء؟ أو هل ترى للخراصين من الصفات التي ذكرها الجبائي صفة واحدة في الآية على التعيين؟ وهل تضمنت غير التهديد من الله تعالى للخراصين الكذابين بلفظ الدعاء عليهم منه تعالى؟» (٣٤).

إن ما يستوقفنا في المتن الطاووسي أن الخبر المؤدّي بالجملة المبنية للمجهول: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ قد خرج من حقيقته إلى سياق إنتاجي إنجازي تأثيري تداولي (التهديد) في ظلّ الدعاء عليهم، ومقتضى هذا البناء يوكد هذا السياق، فالسكوت عن الفاعل لفظ الجلالة (الله) قد أعطى تعجيلًا قويًا، زد على ذلك تهديدًا ووعيدًا وتعجبًا، ويبدو أن معاينة السياق وتوظيفه كان له الأثر في استظهار هذا الفعل الكلامي غير المباشر.

والذي يبدو أن ابن طاووس لم يخرج عمًا ذكره الجبائي من استيحاء الفعل

التهديديّ التداوليّ، إلّا أنّه يرى التوسيع في استدراج الدلالات من دون التقييد بالدعاء على الخِراصين إنّ ذلّةً أو هلاكاً، وفي ما يأتي مخطّط بيّن هذه الرؤية:

الخبر ⇐ قُتِلَ الخِراصون ⇐ الصدق (الفعل الكلاميّ المباشر) ⇐ التهديد (الفعل الكلاميّ غير المباشر)

ويزهّرُ الفعل الكلاميّ غيرُ المباشر في الخطاب الأخلاقيّ الطاووسيّ (السياق الإنتاجيّ التوليديّ) (سوء العاقبة والمآل) في بيان حال أعمال الذين كفروا وأفعالهم غير الأخلاقيّة، مبيناً عاقبتهم المخزية وسوء مآلهم في ظلّ قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال: «قال الرّمانيّ: حقيقة قَدِمْنَا هنا: عَمَدْنَا إلى ما عَمِلُوا، و(قَدِمْنَا) أبلغُ منه؛ لأنّه يدلُّ على أنّه عاملهم معاملة القادم من سفره؛ لأنّه من أجل إمهاله لهم لمعاملة الغائب عنهم، ثمّ قَدِمَ فرآهم على خلاف ما أمرهم (...). ويحتمل في الآية من النُكت، ما لم يذكره الرّمانيّ، وهو أنّ الله ﷻ لِمَا شَبَّه أعمالهم فيما قَدِمْنَا، مثل هذا السراب الذي يُرى ظاهره لم يَبْقَ بُدٌّ من أن يشاهدوا معنى أعمالهم في القيامة (...). إنّ الذي يشاهدونه من أعمالهم بمحضرهم ومشاهدتهم وهم ينظرون هباءً منثوراً تالفاً لا أصلَ له، فإنّ إتلاف ما يعتقده الإنسان ملكاً له ونافعاً له بمحضره ومشاهدته أوقع من عذابه»^(٣٥).

وتأسيساً على معانية النص، يمكننا الاستنتاج أنّ الخطاب القرآنيّ خرج على مقتضى الظاهر مع مراعاة حال المخاطب يعدُّ إنجازاً لأفعال كلاميّة غير مباشرة؛ لأنّ الخطاب حينها قد استشرف نفسيّة متلقّيه وراعى الحال غير الظاهرة في المقام؛ ليصل إلى إخراج كلامه على مقتضى تلك الحال، وهذا «ما يدلُّ على مراعاة لأوضاع غير لسانيّة لا تظهر على مستوى البنية السطحيّة للكلام، وإنّما يتمُّ الوصول إليها على مستوى البنية العميقة،

مما يعني أن هناك علاقة متينة بين قصد المتكلم ومقام المتلقي ونفسيته (...) وهو ما تركّز عليه اللسانيات التداولية في أبحاثها»^(٣٦).

وعوداً على بدء، فإن الخطاب القرآني كشف مشاعر هؤلاء الكافرين ونفسيته، وهم يرون بأنهم أعينهم كيف تتهاوى أعمالهم وتتطاير كذرات الرماد؟ وهو مصداق عظيم على سوء عاقبتهم ومآلم المخزي.

من الجمل الخبرية التي جاءت في الخطاب الأخلاقي الطاووسي بدلالة الأمر الذي خرج إلى الدعاء، دعاؤه المعروف (دعاء العبرات)، قال: «وبالمراحم والمكارم التي لا يعلم غيرك محلها (...) أن تُصلي على محمد وآل محمد ﷺ؛ وأن تُعجل قضاء كل حاجة لمن يريد تقديم حاجاته قبل حاجاتنا وذكر مهاتته قبل مهاتنا، وأن تجعل حوائجنا تابعة لإرادته وإرادتك بإجابتك (...) وأن تُعجل قضاء جميع ما ذكرته (...) وأن تجعل هذه التوسلات من أسباب تكميلها وتسهيلها وتعجيلها، وأن تملأ قلوبنا من معرفتك وهيبتك وعظمتك وحرمتك (...) وأن تُلهمنا كل ما نريد منا وترضى به عنا، وأن تُكاشفنا بجلالك (...)، وأن تُدبرنا في الكثير والقليل بتدبيرك الحسن الجميل، وأن تحفظنا ومن يعيننا أمره بما حفظت كل من حفظته وتسعدنا بكل ما أسعدته، وأن تمددنا من الأعمار بأطولها ومن الأعمال بأفضلها، وأن تنصنا على كل من يؤذينا أو يمكن أن يؤذينا نصرًا أنت أهلها، وأن تُدّهم لنا ذلاً هم أهلها، وأن تُدبّرنا من الآثام (...) وأن تلمح أهل الإساءة إلى من يريد ذكره قبل ذكرنا وتعظيم قدره على قدرنا»^(٣٧).

فالجملة الخبرية المؤدية بـ(أن) الناصبة والفعل المضارع، نحو: (أن تُصلي)، و(أن تُعجل)، و(أن تجعل)، و(أن تُلهمنا)، و(أن تُدبرنا)، و(أن تملأ)، و(أن تُدبرنا)، و(أن

تَحْفَظْنَا)، و(وَأَنْ تَمَكَّنَا)، و(أَنْ تَنْصَرَنَا)، و(أَنْ تَذُفَّهُمْ)، و(أَنْ تُدِينَنَا)، و(تُرِيحُهُمْ)، خبرية المَبْنَى إنشائية المعنى، والتقدير (صَلِّ، وَعَجِّلْ، وَاجْعَلْ، وَاْمَلَأْ، وَأَلْهِمْ، وَكَاشِفْ، وَدَبِّرْ، وَاحْفَظْ، وَمُدِّ، وَ...)، ويرى الأصوليون أنَّ التعبير بالجملة الخبرية في مقام الطلب والإيقاع أكد من الوجوب المستفاد من مثل صيغ الأمر: (فعل الأمر الصريح، والفعل المضارع المقرون بـ(لام الأمر)، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب مناب فعله)^(٣٨).

وتأسيساً على ما سبق، فإنَّ هذه الأفعال الكلامية المتمثلة في الجملة الفعلية المكوَّنة من محمول الفعل (صَلِّ، وَعَجِّلْ... وغيرها) وموضوعه الفاعل المسكوت عن لفظ الجلالة (الله)، الدالُّ على الذات الإلهية تمثل أفعالاً إسنادية وإحالية، ودلالية، فضلاً عن ذلك الفعل الإنجازي الذي تشكَّل حولته الدلالية، من قوَّة إنجازية حرفية، وهي الأمر والطلب، وقوَّة إنجازية مستلزمة تتمثل في الدعاء وطلب الإعانة والاستجابة.

ونستشرف أفعالاً كلامية غير مباشرة في الجملة الخبرية، ففي تفسيره لقوله تعالى:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، قال ابن طاووس: «فإنَّ ظاهر الآية تقتضي أنَّ التلاوة توجب وجل قلوبهم، وزيادة إيمانهم، وهو يعرف، وكلُّ عارف أنَّ كلام السلطان العظيم الشأن إذا سمع بالقلوب والأذان أَرهَب للسامع، واقتضى خوفه قبل أن يتدبره، وخاصَّةً إذا كان ظاهر لفظه تهديداً أو وعيداً، على أنَّ في القرآن ما لا يحتاج سامعه إلى تدبُّرٍ وتفكُّرٍ من الألفاظ المحكمة التي يفهم باطنها من ظاهرها، أقول: بل لو أنصف عبد الجبار قال: إنَّ متى شرع سامع القرآن في التفكير والتدبُّر الذي يشغله عن لفظ التلاوة صار إلى حالٍ ربُّها زال الخوف عنه في كثير من الآيات والتلاوات»^(٣٩)، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ [الأنفال: ٢] خبر خرج من دلالاته الحقيقة، وهما: إفادة الخبر، ولازم الفائدة إلى سياق إنتاجي توليدي (التهديد والتعظيم)، فالجملة الفعلية المؤدبة بالبناء للمجهول (ذُكِرَ اللهُ)، والجملة الشرطية الأم ﴿إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ أعطت بُعدًا تداوليًا إنجازيًا مستلزمًا التهديد والتعظيم، ويبدو أن السياق بمعانتنا المتواضعة لذيل الخطاب القرآني ألفينا فيه ما يُشكّل هذا الفعل الإنجازي التأثيري، وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] المبدوء باسم الإشارة (أولئك) الذي يدلُّ على البعد المكاني، ومن ثمَّ يعطي دلالةً أخرى (التعظيم)، فضلًا عمَّا فيه من القصر البلاغي بـ(هم) و(المؤمنون)، وتأكيده بـ(حقًا).

وقياسًا على ذلك فإنَّ الفعل الكلامي على حدِّ تعبير (أوستين)، هو: «نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كلَّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري»^(٤٠).

أولاً: الأمر

طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وهو أسلوب إنشائي طلبي مليءٌ بالدلالة الإيحائية، وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر^(٤١)، وقد لاحظ البلاغيون أن الأمر قد يخرج عن دلالاته الأصلية الحقيقية، وهي: الوجوب والإلزام إلى معانٍ آخر (سياقات إنتاجية توليدية) نفهم وتستنبت من سياق الكلام وقرائن الأحوال^(٤٢).

وقال في وصف أهوال يوم عاشوراء: «ياله من يوم كسفت فيه شمس الإسلام والمسلمين، وخسفت به بدور الطاهرين (...)، وقال لسان حال الرسول الداعي لكلِّ سامعٍ وواعٍ، الساعين إلى سفك دمه الشريف بسوء المساعي: إذا لم تجازونا على

الإحسان، ولم تعترفوا لنا بحق العتق من الهوان ومن عذاب النيران، ولم تذكروا لنا بسط أيديكم على ملوك الأزمان، وما فتحنا عليكم من أبواب الرضوان والجنان، فارجعوا معنا إلى حكم المروءة والحياء وعوائد الكرم في الجاهلية الجاهلاء»^(٤٣)، وقبل أن نُحلّل الفعل الكلامي المتضمّن في (فارجعوا)، لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ الخطاب الطاووسي جاء على لسان الإمام الحسين عليه السلام، بأننا لم نتجاوز الإحسان معكم، وأطلقنا سرا حكم يوم فتح مكّة، مذكراً إياهم بقول جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»؛ من أجل التقريب التداوي، فهم مُسلمة الفتح الذين نالهم عفو النبي صلى الله عليه وآله وصفحّه يوم فتح مكّة: «يا معشر قريش، ويا أهل مكّة ما ترون أنّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخُ كريم، وابنُ أخِ كريم، ثمّ قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء**»^(٤٤).

هذه الرحمة الوسيعة من الخطيب بالقرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، لم يقابلها المحاربون لذريّة سيّد المرسلين بالجزاء، فقد أوغلوا بدماء الذريّة الطاهرة قتلاً وتمثيلاً، «فوطئوا ظهراً كان لهم ظهراً ونصراً»^(٤٥)، زد على ذلك دعوتهم إلى الرجوع إلى مناقب العرب الأصيلة من مروءة وكرم وعفو وإحسان، وبيان الفعل الكلامي: (فارجعوا)، يتكوّن من فعل إسنادي (جملة فعلية)، مكوّنة من محمول فعل (ارجع)، وموضوعه الفاعل (الضمير المتصل واو الجماعة)، والفعل الإحالي: إحالة إلى هؤلاء المنحرفين الضالّين الذين لا يرجون لله وقاراً في ذريّة المصطفى صلى الله عليه وآله، والفعل الدلالي يتكوّن من القضية التي تتمثّل في أمر الإمام الحسين عليه السلام هؤلاء في الرجوع إلى خصال العرب الذائعة الصيت قبل الإسلام كي يرعوا، وتكون لهم تذكرة، زد على ذلك نقد بالاستلزام المنطقي؛ لأنّ سرد هذه الخصال والشائتل من صفح وعفو وإحسان فيها تعبيرٌ عن قيم الإسلام العظيمة من جهة، والتذكير بأضدادها (القيم السيئة).

أمّا فيما يتصل بالفعل الإنجازي، فتتجسّد في الحمولة التي تترشّح من فعل الأمر

(فارجعوا)، إذ يأمر الإمام الحسين عليه السلام - تذكيراً وتنبهًا - هؤلاء القتلة الظلمة من استذكار صنيع جدّه بهم من جهة، واستلھام فضائل العرب الأصلاء، وشوائلهم من جهة أخرى. ومن السياقات الإنتاجية التوليدية التي ترشّحت من سياق الأمر في الخطاب الأخلاقي الطاووسي سياق الترغيب، قال ابن طاووس في بيان فضيلة شهر رمضان وما يتحصّله الصائم من فضائل وملكات أخلاقية: «واعلم أنّ شهر الصيام مثل دار ضيافة فتحت للأنام، فيها من سائر أصناف الإكرام والإنعام، ومن ذخائر خلع الأمان والرضوان، وإطلاق كثير من الأسراء بالعصيان، وتوقيع بمالك وولايات ربانيات حاضرات ومستقبلات، ومراتب عاليات ومواهب غاليات، وطبي بساط الغضب والعتاب والعقاب، والإقبال على صلح أهل الجفاء لربّ الأرباب، فينبغي أن يكون نهوض المسلم العارف المصدّق بهذه المواهب إلى دخول دار الضيافة بها على فوائد تلك المطالب بالنشاط والإقبال والسرور وانسراح الصدور»^(٤٦)، وبيان ذلك أنّ فعل الأمر (اعلم) خرج من دلالاته الأصلية (الوجوب والإلزام) إلى سياق إنتاجي (الترغيب بالمغفرة ونيل السعادة)، ويتّضح الفعل الكلامي الإنجازي التأثيري في ضوء المخطّط الآتي:

الأمر (صيغة اعلم) ⇐ إنشاء طلبي ⇐ سياق إنتاجي (الترغيب بالمغفرة)

ومن السياقات الإنتاجية التوليدية التي ترشّحت من أسلوب الأمر في الخطاب الأخلاقي الطاووسي بوصفها أفعالاً كلامية غير مباشرة، سياق النصح والإرشاد، قال في وقت الوداع لشهر رمضان: «فاجتهد في وقت الوداع على إصلاح السريرة، فالإنسان على نفسه بصيرة، وتحير لوقت وداع الفضل الذي كان في شهر رمضان أصلح أوقاتك في حسن صحبته، وجميل ضيافته ومعاملته، من آخر ليلة منه، كما رويناه، فإن فاتك

الوداع في آخر ليلة، ففي أواخر نهار المفارقة له والانفصال عنه، فمتى وجدت في تلك الليلة أو ذلك اليوم نفسك على حال صالحة في صحبة شهر رمضان فودّعه في ذلك الأوان، وداع أهل الصفا والوفاء، الذين يعرفون حقّ الضيف العظيم الإحسان، واقض من حقّ التأسف على مفارقتهم وبعده، بقدر ما فاتك من شرف ضيافته، وفوائد رفته، وأطلق من ذخائر دموع الوداع ما جرت به عوائد الأحبة إذا تفرّقوا بعد الاجتماع»^(٤٧)، فالفعل الكلامي (اجتهد) يكون من فعل إسنادي يتمثل من الجملة الفعلية الأمرية المكوّنة من محمول الفعل (اجتهد)، وموضوعه الرئيس الفاعل المستتر (الصائم)، وفعل إحالي (إحالة إلى الصائم) عن طريق الإشارة إليه، بالضمير (أنت) وفعل دلالي الذي يتشكّل من القضية التي تتمثل في أمر الصائم بوداع هذا الشهر بإصلاح السريرة والنقاء والصفاء، وتشكّل القضية من الاقتضاء (تهذيب النفس بعد انقضاء هذا الشهر)، والاستلزام المنطقي (أمر الصائم بتهذيب النفس وتصحيح المسار).

ويظهر الفعل الإنجازي في ضوء الجملة الفعلية (اجتهد) التي تتكوّن حولتها الدلالية من أمرين، الأوّل: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الأمر، والآخر: قوة إنجازية مستلزمة تتمثل في النصح والإرشاد.

فظاهر الخطاب الطاوسي يدلّ على أمر الصائم بتهذيب النفس، ورفع الأدران والحجب، وهو فعل إنجازي مباشر (الأمر)، وفعل لغوي غير مباشر يفهم من سياق الجملة وقرائن الأحوال، ويتمثل في فعل النصح والإرشاد.

قال ابن طاووس في بيان حال قوم موسى الكافرين الظالمين، حينما تركوا الحقّ وركنوا إلى الكفر والانحراف، وقد وصف الحقّ ﷻ حالهم، وعاقبتهم، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، قال ابن طاووس: «يقال: أَبْعَدُ بَعْدًا وَبَعْدًا

إذا أرادوا البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك، ولذلك اختص بدعاء السوء^(٤٨)، فقد جاء الخطاب (وقيل بُعدًا) المؤدّي بالجملة المبنية للمجهول الخبرية بنية، الإنشائية دلالة، فنلمح الأمر الذي خرج من دلالة الرئيسة المحورية (الطلب والوجوب) إلى الدلالة التأثرية الإنجازية (الدعاء) عليهم بالهلاك والخسران، وتشتدّ القيمة الدلالية في تضافر الفعل المبني للمجهول (قيل)، مع المصدر النائب مناب فعله (بُعدًا) من أجل توليد سياق الدعاء السريع بمعينة الدلالات التعجب والتأكيد والاقتصاد، وفيما يأتي مخطّط يبين ذلك:

الأمر ← بنية (بُعدًا) ← المصدر النائب مناب فعله ← سياق إنتاجي توليدي (الدعاء)
 قلنا من قبل إنّ الإنشاء يكون مجردًا من المرجع الخارجي، وتنحصر دائرته في البناء اللغوي نفسه؛ فتتحقق الفائدة الدلالية ابتداءً من دون الرجوع إلى الواقع الخارجي، فهو يُلقى إلى المتلقّي؛ ليستدعي مطلوبًا ما، لم يكن حاصلًا وقت الطلب^(٤٩)، ومن ثمّ فهو لا يحتمل الصدق أو الكذب؛ لكونه لا يلقي معلومة للمخاطب.

ثانياً: النهي

طلب الكفّ عن فعلٍ على وجه الاستعلاء وصيغته (لا تفعل)^(٥٠)، وهذا الأسلوب واحد من الأساليب الإنشائية الطليبة التي حفل بها الخطاب الأخلاقي الطاووسي، وتتجلّى الخصائص الأسلوبية في هذا الملحظ الأسلوبي في علاقة الخطاب بالسياق أو مقتضى المقام.

وقد يخرج النهي إلى سياقات إنتاجية توليدية تُفهم من السياق وقرائن الحال، وهذا الخروج يشتمل على قيمة تعبيرية إيحائية من جهة، ومقاربة تداولية من جهة أخرى.

وسنكشف بعض الخطابات الأخلاقية الطاووسية التي ورد فيها هذا الأسلوب، مبيّن الفعل الكلامي المؤدّي بصيغة (لا تفعل) بوصفه فعلاً إنجازياً، سواء أكان مباشراً أم غير مباشر، الذي يعيننا هنا الفعل الكلامي غير المباشر، قال ابن طاووس في بيان استقبال شهر رمضان المبارك: «أقول: فلا تكن أيها الانسان ممن نزل به ضيف غني عنه، وما نزل به ضيف منذ سنة أشرف منه وقد حضره للإنعام عليه، وحمل إليه معه تحف السعادات، وشرف العناية، وما لا يبلغه وصف المقال من الآمال والإقبال، فأساء مجاورة هذا الضيف الكريم، وجفاه وهوّن به، وعامل معه معاملة المضيف اللئيم، فانصرف الكريم ذاماً لضيافته، وبقي الذي نزل به في فضيحة تقصيره وسوء مجاورته، أو في عار تأسّفه وندامته، فكن إماماً محسناً في الضيافة والمعرفة بحقوق ما وصل به هذا الضيف من السعادة والرحمة والرأفة والأمن من المخافة، أو كن لاله ولا عليه، فلا تصاحبه بالكراهة وسوء الأدب عليه، وإنما تهلك بأعمالك السخيفة نفسك الضعيفة، وتشهرها بالفضائح والنقصان، في ديوان الملوك والأعيان، الذين ظفروا بالأمان والرضوان»^(٥١).

ويمكن بيان هذه المقاربة التداولية في ضوء المخطّط الآتي:

أسلوب الطلب ← النهي ← لا تكن ← فعل إنجازي ← تنبيه وتحذير

فالفعل الكلامي (فلا تكن) فعل اسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول الفعل (تكن)، وموضوعه الفاعل المستتر (المستقبل لشهر رمضان)، والفعل الإحالي (إحالة إلى الشخص المستقبل المكلف بالصيام بالضمير أنت)، والفعل الدلالي المكوّن من القضية التي تتمثل في تنبيه الشخص المكلف أو المستقبل لهذا الشهر من الكشف عن أمره عن طريق توحّي الحذر من ترك صيام هذا الشهر الفضيل، وتكوّن

القضية من اقتضاء صيام شهر رمضان المبارك، واستلزام منطقيّ (النهي عن ترك صيام هذا الشهر)، والفعل الإنجازي تتكوّن حملته الدلالية من قوة إنجازية حرفية هي (النهي)، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في تحذير الشخص المكلف باستقبال هذا الشهر الفضيل صياماً.

فهذه الجملة (فلا تكن) يسايرها فعلاّن لغويّان، فعّل لغويّ مباشر تطابق فيه قوّته الإنجازيّة معناه الحرفيّ المتمثّل في فعل النهي الذي نستدلّ عليه في ضوء القرائن البنيويّة (لا الناهية) والفعل المضارع (تكن)، غير أنّ الجملة بلحاظ السياق المقاميّ الذي وردت فيه لا يقصد منها إنجاز (فعل النهي)، وإنّما أنجز في ضوئها (فعل التحذير)، الذي نستدلّ عليه من سياق الحال الذي يمثّل فعلاً لغويّاً غير مباشر.

ونستضيء بسياق الوعظ والإرشاد في المتن الأخلاقيّ الطاووسيّ حينها وعظ المخاطب وأرشده إلى إجهاد النفس، والعمل الكثير، والشغل العظيم في طاعة الله ﷻ ورضوانه، قال: «ولا تستكثرنّ لنفسك شيئاً في دنياك ولو كان أضعاف ما يحتاج إليه، فمنازل دار المقامة وسبعة تحتاج إلى قماش كثير، والمقام هناك دائم يحتاج إلى استعداد كبير، وحيث قد ذكرنا ما أردنا ذكره من الصلوات في جميع ليالي الأسبوع وأيامه بهذه الروايات، فنحن الآن ذاكرون بما يفتحه الله ﷻ علينا من الإمكان ما يختار ذكره من عمل: إمّا دعاء أو صلوات للحاجات أو غير ذلك ممّا نجده في الروايات عن الأبرار أو حديث باختيار يوم من أيّام الأسبوع للأسفار»^(٥٢).

فالفعل الكلاميّ (لا تستكثرنّ)، والفعل الإسناديّ يتمثّل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول فعل النهيّ (لا تستكثرنّ)، وموضوعه الفاعل المستتر (العبد)، والفعل الإحاليّ (إحالة إلى العبد المكلف من طريق الإشارة إليه بالضمير المستتر (أنت)، وفعل دلاليّ

يتشكّل من القضية التي تتمثّل في نهى ابن طاووس العبد المكلف في المباهاة بالعبادات والاطمئنان بها، وتتكوّن من أمرين، الأوّل: الاقتضاء (اقتضاء القيام بالأعمال الكثيرة والمباهاة بها تفاعراً وعجباً)، من دون لحاظ أنّ دار المقام (الجنة) بحاجة إلى الذوبان في ذات الله ﷻ والوصول إلى أعلى مراقي التقوى، والسعي في مرضاة الله، والآخر: استلزام منطقيّ، إذ نهى ابن طاووس عن العُجب بالأعمال مهما كُثرت وعظمت.

ويتجلّى الفعل الإنجازيّ في الجملة الفعلية (لاستكثرن) التي تتشكّل حولتها الدلالية من قوّة إنجازيّة حرفيّة، هي: النهي، وقوّة إنجازيّة مستلزمة تتمثّل في الوعظ والإرشاد، فالمتن الأخلاقيّ الطاووسيّ أنجز فعلين لغويين، فعلاً لغويّاً مباشراً يتمثّل في نهى ابن طاووس المخاطب عن العُجب، والتفاخر، والتباهي بالأعمال الصالحة في الدنيا، ونستدلّ على فعل النهي في ضوء القرائن البنيويّة، نحو: (لا) الناهية، والفعل المضارع المنهّي. وإنّما أنجز فعل الوعظ والإرشاد الذي يمثّل لنا فعلاً لغويّاً (غير مباشر).

فابن طاووس يرشد مخاطبه من طريق نهيه عن العُجب والفخر بالأعمال؛ لأنّ دار المقامة (الجنة) بحاجة إلى السعيّ والجهد وترويض النفس.

ومن المواضيع التي ورد فيها النهي بوصفه فعلاً كلامياً إنجازياً غير مباشر قول ابن طاووس الحليّ: «وإن احتجت إلى سفر (...) فلا تسافر بالطبع والغفلة والأطماع الدنيويّة فتكون مخاطراً مع الله ﷻ ومهوّناً لجلالته الإلهية ومضيّعاً زمان أسفارك في غير ما ينفعك لدار قرارك»^(٥٣).

فالفعل الكلاميّ (فلا تسافر)، يتكوّن من (فعل إسناديّ) يتمثّل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول الفعل (لا تسافر)، وموضوعه الفاعل المستتر (المخاطب)، و(فعل

إحاليّ) إحالة إلى (المخاطب) من طريق الإشارة إليه بالضمير المضمّر (أنت)، و(فعل دلاليّ) الذي يتكوّن من القضية المتمثّلة في نهي ابن طاووس الحليّ عن السفر المذموم (سفر المعصية والغفلة والأطعاب الدنيويّة)، وتشكّل هذه القضية من اقتضاء إمكانية سفر الغفلة والمعصية، (واستلزام منطقيّ) نهي ابن طاووس المخاطب عن هذا السفر (سفر الشّرّ والغواية)، و(فعل إنجازيّ) يتجسّد في هذه الجملة الفعلية التي تشكّل من (قوة إنجازيّة حرفيّة)، هي النهي (لا تسافر)، (قوة إنجازيّة مستلزمة) تتمثّل في التحذير والتهديد، فظاهر قول ابن طاووس يدلّ على نهيّه عن سفر الغفلة والمعصية والأطعاب الدنيويّة، فهو سفر الشيطان والضلال لا يعود على صاحبه إلّا بالندم والبعد عن الله ﷻ.

ثالثاً: الاستفهام

وهو طلب من الآخرين من أجل الفهم والاستعلام والاستخبار^(٥٤)، وهو أسلوب إنشائيّ طلبيّ مهمّ له قيمته الإيحائيّة والأسلوبية في بنية النصّ، وما يضيفه من أثر جماليّ على الصورة التي يظهر فيها، ولأريب «أنّ الاستفهام أوفر أساليب الكلام معاني وأوسعها تصرّفًا وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً. ولذا نرى أساليبه تتوالى في مواطن التأثير وحيث يراد التأثير وهيج الشعور للاستمالة والإقناع، وإذا صحّ القول: إنّ للكلام قمّة عليا في البلاغة، كان أسلوب الاستفهام محتلاً أعلى مكان في تلك القمّة»^(٥٥).

قد يخرج الاستفهام بوصفه فعلاً كلامياً عن حقيقته (طلب الفهم والاستخبار) إلى معانٍ مجازيّة تُفهم من السياق وقرائن الحال، وهذا فهم البلاغيّين أجمع^(٥٦)، والذي يبدو أنّ خروج الاستفهام من دلالاته المركزيّة (الحقيقيّة) إلى سياقات إنتاجيّة وتوليدية تحصّلت بفعل سياق الكلام ودرجه، وهذا ما تنبّه له التداوليون، فذكروا الأفعال

الكلامية الإنجازية والتأثيرية انسجامًا مع ما يحدثه السياق من تفاعلات خطابية. وأن الأوان أن نستثمر النصوص الطاووسية في استجلاء السياقات الإنتاجية والتوليدية التي ترشحت من النصوص ولاسيما في خطابه الأخلاقية المتضمنة أسلوب الاستفهام، قال ابن طاووس مستنكرًا الذين لا يرجون حرمة دم الإنسان وقارًا، فالإنسان ذو كرامة لا يمكن أن يُباح دمه وماله، وإن كان ذا عقيدة مخالفة فاسدة، ومستنكرًا ما يفعله ذوو الأفكار المنحرفة والضالة في زمنه، والحال في زماننا هذا من إزهاق دماء المسلمين وغيرهم بحجة عقيدتهم المخالفة، قال: «كيف كان الله ﷻ يسبح دمه وماله وما أحسن به إليه وما مضى عليه من الزمان بعد بلوغ رشاده ما يكفيه لتعلمه من أستاذه ومن ملازمته وتردده، والله ﷻ أرحم من الخلق كلهم بعباده وما أباح دمه إلا وقد اكتفى منه بما فطره عليه وبما يسعه بأقل زمان بعد إرشاده لا اعتقاده»^(٥٧)، فالاستفهام في الخطاب الأخلاقي خرج من دلالة المباشرة (طلب الفهم) إلى دلالة غير مباشرة (سياق الاستنكار).

ومن السياقات الإنتاجية التداولية التي خرج إليها الاستفهام في الخطاب الأخلاقي الطاووسي (سياق التقرير) وهو فعل إنجازي تأثيري، قال مبيّنًا مرجعية المعرفة الإلهية: «فهل ترى يا ولدي المعرفة بالله إلا من الله وبالله وأنه ﷻ هو الذي هدى للإيمان بمقتضى القرآن وأنه هو صاحب المنّة في التعريف وأنه لولا فضله ورحمته ما زكى من أحد في التكليف»^(٥٨)، ولا يخفى أن قول ابن طاووس من روائع الكلام، وأمّات البيان... فأجمل بقوله: (المعرفة بالله إلا من الله وبالله)، وأنه ﷻ هدى للإيمان بمقتضى القرآن.

ومن السياقات الإنتاجية التداولية التي خرج إليها الاستفهام في الخطاب الأخلاقي الطاووسي (سياق التعجب) الذي صرح به ابن طاووس، قال في بيان كرامات السيدة

مريم عليها السلام: «وبلغت مريم إلى كرامات وسعادات حتى أن النبي العظيم في وقتها زكرياً يدخل عليها في المحراب فيجد عندها طعاماً يأتيها من سلطان يوم الحساب بغير حساب ويُفهم من صورة الحال أن زكرياً ما كان يأتيه مثل ذلك الطعام؛ لأنه عليها السلام قال: أتى لك هذا؟ على سبيل التعجب والاستفهام، وهو أقرب منها إلى صفات الكمال»^(٥٩)، فالاستفهام خرج من قوته الإنجازية المباشرة (طلب الفهم والاستخبار) إلى قوة إنجازية مستلزمة (التعجب) وهو إظهار الدهشة والانبهار.

ومن السياقات الإنتاجية التداولية التي خرج إليها الاستفهام من دلالاته الحقيقية في الخطاب الأخلاقي الطاوسي سياق (التحذير)، قال ابن طاووس محدثاً المخاطب ممن لا يخاف وعيد الله جل جلاله وتبكيته، قال: «كيف صرت عند وعيد الله جل جلاله وتهديده قوياً لا تقبل تحذيراً ولا تخويفاً، وكأنني بك أنت تقول إنك تتكل على رحمة الله وجوده، وهذا منك بهتان واستخفاف بوعيده. ويحك أنت تعلم من نفسك أنك عند الذنوب ما يخطر بقلبك أنك تفعلها لأجل رحمة علام الغيوب»^(٦٠).

فالفعل الكلامي (كيف صرت) يتكوّن من فعل إسنادي جملة فعليّة مكوّنة من محمول فعل (صرت)، وموضوعه الفاعل المستتر (العبد)، وفعل إحاليّ إحالة إلى العبد عن طريق الإشارة إليه بالضمير المستتر (أنت)، فضلاً عن (قوياً) والضمير في (تقبل)، والكاف في (فإنك)، و (فكأنك)، وفعل دلاليّ يتشكّل من القضية التي تظهر في جحود العبد وعصيانه وعدم خوفه من وعيد الله جل جلاله وناره، وتتكوّن القضية من أمرين، الأوّل: الاقتضاء، أي اقتضاء جحود العبد ربّه وعدم الخوف من وعيده وناره، والآخر: استلزام منطقيّ في لوم العبد وتحذيره؛ لجحوده وإصراره على الذنب.

ويتجلّى الفعل الإنجازي في قوتين، قوّة إنجازية حرفية (الاستفهام بـ(كيف))،

وقوة إنجازية مستلزمة (تحذير وتوبيخ ولوم وعتاب).

يصور لنا هذا الخطاب الأخلاقي الطاووسي العبد المصّر على العصيان تكبراً وتعالياً، فهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه، وإغفاله قدرة الله ﷻ، وعظمته ووعيده وناره، موبخاً له من طريق سؤاله الذي وجهه إليه: كيف صرت؟ إذ يمثّل الاستفهام هنا فعلاً لغوياً مباشراً نستدلّ عليه حرفياً بقرائن بنويّة، هي: أداة الاستفهام (كيف)، غير أنّ الجملة في السياق التي وردت فيه لا يقصد بها إنجاز فعل السؤال، وإنّما أنجز بها فعل التحذير والتوبيخ.

وقد يتولّد من الاستفهام غرض تواصلّي تداووليّ وهو (التقرير)، قال ابن طاووس: «أفلا ترى أنّ العقول كانت مع أصحابها قبل إرسال الله ﷻ جدك محمّداً صلوات الله عليه إليهم كانوا عاكفين على عبادة الأصنام والأحجار والأخشاب يضحك الشيطان بها عليهم، وبلغوا إلى أحسّ وأدبر من الدواب؛ لأنّ الدابة لو تركت بغير سائق ولا قائد ما مشت إلا إلى ما يُعتقد فيه نفعاً بسبب من الأسباب، والذين عبدوا الأصنام ما كانت نافعة لهم ولا دافعة عنهم، وهي مساوية لسائر الأحجار والأخشاب، حتّى نفّض الله ﷻ عليهم بجدك محمّد ﷺ فأيقظ العقول من رقدتها وكشف عنها غطاء جهالتها؛ فأبصرت ما كان مستوراً عنها»^(٦١).

فالفعل الكلاميّ (أفلا ترى)، يتشكّل من (فعل إسنادي) مكوّن من محمول الفعل (ترى)، وموضوعه الفاعل المستتر (ولده محمّد)، وفعل إحاليّ إحالة إلى ولده (محمّد) من طريق الإشارة إليه بالضمير المستتر (أنت) في الفعل (ترى)، (فعل دلاليّ)، وتشكّل من القضية التي تتمثّل في تقرير وإقرار ولده على التأمل والتصور العقليّ في انتقال حال العرب من عبادة الأصنام والأخشاب إلى عبادة الله ﷻ، بفضل الله ﷻ حينما

أرسل محمدًا ﷺ فأنقذ البشرية من الظلمات إلى النور، ويظهر الفعل الإنجازي في ضوء تشكّل حملته الدلالية من: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام المنفي، وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في التقرير والإذعان.

ويصرّح السياق الإنتاجي (التعظيم) في الخطاب الأخلاقي الطاووسي في أسلوب الاستفهام، في وصيته لابنه متسائلاً عن عظمة الله ﷻ وقدرته على إنزال الماء وفتق العيون ما تعجز عن فتقها قوة العالمين، «ثم تذكر يا ولدي محمد ذكرك الله ﷻ بما يريد من مراحمه وعرفك بفضل مكارمه كيف أجرى الماء الذي تحتاج إليه من العيون ومن تحت الأرضين وفتقها بقدرته وفيها ماء هو بين صخر أصم يعجز عن فتقه قوة العالمين، ثم كيف أنزل ما أنزله من السحاب المسخر بين السماء والأرض وجعل السحاب كالمنخل لينزل بنقطة متفرقة سهلة النزول من ذلك العلى، ولو جعله جارياً من الغمام مثل جريه في البحار والأنهار كان قد أهلك بني آدم وأتلف ما خلق لهم من النبات والأشجار وخرّب ما بنوه من الديار، وكيف لم تخلط النقطة في طريق نزولها بمصادمة الهواء، وكيف جعله في وقت دون وقت بحسب الحاجات، وجعله مباحاً مطلقاً للعزيز والذليل في سائر الأوقات، لما علم أنّه من أهم الضرورات، لئلا يمنعه الملوك الظالمون عن المحتاجين إليه، وكلّ عدو عن عدوه، ويفسد تدبير الدنيا، ويموت من منع منه بالمغالبة عليه»^(٦٢).

فالفعل الكلامي: كيف أجرى الماء، ثم كيف أنزل ما أنزله، والفعل الإسنادي مكوّن من محمول الفعل (أجرى)، و(أنزل)، ومن موضوعه الأساس الفاعل (الله ﷻ)، والفعل الإحالي: إحالة إلى الله ﷻ الذات الإلهية في ضوء الإحالة إليه ب(الضمير) هو، والفعل الدلالي مكوّن من القضية التي تتمثل في قدرة الله ﷻ في إنزال الماء من السحاب، وفتق العيون، وإنزاله نزولاً دقيقاً بقدر معلوم ليس كجريان البحار والأنهار، وتشكّل القضية من:

١. الاقتضاء: اقتضاء وجود خلاق عظيم، وقادر كبير.

٢. استلزام منطقي: إنزال الماء واستخراجه من لدن الله ﷻ دليل على قدرته، وعظمته ﷻ.

ويتجلى (الفعل الإنجازي) في حملته الدلالية المكوّنة من (قوة إنجازية) حرفية تتمثل في (الاستفهام السؤال) بـ(كيف) وقوة إنجازية مستلزمة تتمثل في التعظيم والتفخيم.

رابعاً: النداء

للنداء علاقة متينة بمفهوم الإنشاء بوصفه مفهومًا يتجاوز مجاله الأعمال الطليّة، ويختلف عنها بوجه من الوجوه؛ بسبب تضمّن النداء دلالة التنبيه والإصغاء من جهة، ودلالة إقبال المخاطب ودعوته من جهة أخرى، والنداء يمثل صورة لافتة، وأمرًا مفيدًا في دعم فكرة إنتاج النصّ^(٦٣)، وقد بُني النصّ الطاووسي على هذا الخطاب الإنشائي الندائي التنبيهي بلحاظ النداء والمنادى، سواء ورد هذا الأسلوب بحرف النداء المذكورًا على مستوى السطح، أم مضمّرًا على مستوى العمق.

قال ابن طاووس في وصيته لابنه حين لبس اللباس الجديد: «فيحسن أن تقول - يا ولدي محمد - عند لبس الثياب الجديدة: اللهم إن كنت تعلم أن فيها شيئًا من المحرّمات أو الشبهات فأنت المالك لأصل الحقوق والمالك لمن انتقلت إليه فأسألك أن تجعل لكلّ صاحب حقّ فيها عوضًا من فضلك يسدّ عني باب عدلك وألحقني فيها بمقام من ألبست خلعًا طاهرة من كلّ حقّ وشبهة باطنة وظاهرة، وأن تكون هذه ثيابي من خلع السعادات الباهرة في الدنيا والآخرة»^(٦٤).

الفعل الكلامي (اللهم إن كنت تعلم) يتكوّن من فعل إسنادي: يتمثّل في الجملة الفعلية (اللهم إن كنت تعلم) المكوّنة من محمول الفعل النائب مناب (حرف النداء) المحذوف (يا الله)، والأصل أَدْعُوْا أو أَنَادِيْ أو أَنبِّهْ، والفعل (كان)، ومن موضوع رئيس يتمثّل في فاعل (الله) المنادى، والضمير المتّصل (تاء المخاطب (كُنْتُ))، والضمير المستتر في (تعلم) وهو الله ﷻ، وفعل إحالي إحالة إلى الله ﷻ بالإشارة إليه سواء ظاهراً (يا الله)، أم بالضمير المتّصل (ت)، والضمير المضمّر (أنت) في تعلم، وفعل دلاليّ يتكوّن من القضية التي تتمثّل في الدعاء والخشوع وطلب الاستجابة من الخالق العظيم ﷻ، وتسلسل القضية من:

١. الاقتضاء: اقتضاء الاستجابة من الله ﷻ في تطهير الثوب.

٢. استلزام منطقيّ: التأكيد على قدرة الله ﷻ في إحقاق الحقّ وتطهير النفوس والثياب، ويتكوّن (الفعل الإنجازي) من قوّة إنجازيّة حرفيّة هي (النداء)، وقوّة إنجازيّة مستلزمة: تتمثّل في الدعاء لله ﷻ، والتضرّع له وطلب الطهارة ورفع الشبهات، والدعاء بجعل الخلع طاهراتٍ من كلّ حقّ وشبهة باطنة وظاهرة.

وقد يتولّد من النداء في الخطاب الأخلاقيّ الطاووسيّ غرض تواصلّيّ تداوليّ إنجازيّ، وهو (المدح والفخر)، قال ابن طاووس في دعاءٍ خاصّ به: «ورأيت في المنام من يعلمني دعاءً يصلح لأيّام الغيبة، وهذه ألفاظه: يا من فضّل إبراهيم وآل إسرائيل على العالمين باختياره، وأظهر في ملكوت السماوات والأرض عزة اقتداره، وأودع محمداً ﷺ وأهل بيته غرائب أسرارهِ، صلّ على محمّد وآله، واجعلني من أعوان حجّتك على عبادك وأنصاره»^(٦٥).

فجملته (يا مَنْ فَضَّلَ إبراهيم...) تمثل قوّة إنجازيّة حرفيّة تتمثّل بالنداء، وقوّة إنجازيّة مستلزمة: هي الدعاء، فالنداء (يا مَنْ...) بمثابة طلب جواز العبور إلى مدح محمّد ﷺ، وأهل بيته، فقد استطاع هذا الأسلوب أن يطبع المدح لهم، فضلاً عن ذلك هو جواز عبور إلى الأمر في قوله: (واجعلني من أعوان حجّتك على عبادك وأنصاره).

من هنا نخلص إلى أنّ الدعاء الطاووسيّ واكبته قوّةان إنجازيّتان، الأولى: الفعل المنجز بأسلوب النداء المدلول عليه حرفياً بقرائن بنيويّة، وهي حرف النداء (يا)، وبنية النداء، والأخرى: قوّة إنجازيّة هي فعل الدعاء والمدح، فجاء عقب هذا الابتهاج والمدح لآل إبراهيم، الدعاء الخالص بإيداع محمّد وآل محمّد غرائب الأسرار، زد على ذلك دعوتّه الخالصة بأن يكون من أنصارهم وأعوانهم، ممّا فتح للنداء بُعداً إيمانياً وولائياً يريده حقاً وصدقاً.

خاتمة البحث ونتائجه

آن أو أن اقتطاف ثمار هذه المسيرة الأخلاقية في خطاب علم من أعلام الأخلاق في العالم الإسلامي عامة، والعراق (مدينة الحلة الفيحاء) خاصة، السيد رضي الدين ابن طاووس الحلي، وتوصلت الدراسة في هذا الموضوع الجديد الطريف إلى جملة من النتائج النافعة والماتعة والناجعة، وهي:

أولاً: اكتسب الخطاب الأخلاقي الطاووسي قيمة أخلاقية خاصة قلما نجد نظيراً لها في الثقافة الإنسانية، بله الثقافة العربية، فليس ابن طاووس - مهما قيل في تراثه وأدبه - رجل العراق والحلة فحسب، ولكنه رجل الأخلاقية الإنسانية جمعاء.

ثانياً: اعتمد ابن طاووس على العقل والاستدلال، وطريقة الذوق والحال، وأراد أن يجعل أسلوبه، وخطابه الأخلاقي روضة تزهر لذوي الألباب والعقول، وكأنتها الرتاج العظيم للوصول الى المحصول، وقد اتخذ في كتبه طابعاً منهجياً دقيقاً، ظهر فيه خطيباً أخلاقياً، وتداولياً منهجياً.

ثالثاً: بدا لنا في ظلّ مباحثتنا في الأفعال الكلامية في الخطاب الأخلاقي الطاووسي أنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة هي أكثر وروداً من الأفعال الكلامية المباشرة، ولا غرو أن القوى الإنجازية التأثيرية تأخذ مدياتها وتخومها في غير المباشرة، وهذا ما لفتنا إليه الخطاب الحسيني الأخلاقي.

رابعاً: إنّ السيد ابن طاووس كان يشاغف المجال التداولي (الثقافة المتداولة)

في عصره، في ضوء التصوُّر الدلالي المتناغم من حال المجتمع، وما أصابه من تقهقر، ونكوص في القيم الأخلاقية التي تعدُّ أسَّ الإنسانية وجوهرها.

خامسًا: ظهر أنَّ التداوليِّين الذين انبروا لدراسة مبادئ التداولية وأبعادها قد ركَّزوا على الجانب التبليغي في الخطاب، وتناسوا قوانين أخرى اجتماعية وأخلاقية، ولم يلتفتوا إلى الجانب التهذيبي والإرشادي الذي نقطع أنَّه الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية والمباشرة، وهذا ما وجدناه في أدب ابن طاووس الحلي ولاسيما خطابه الأخلاقي الذي جاء مشحونًا بالمعاني الحقيقية المباشرة، والمعاني غير الحقيقية (غير المباشرة) التي تنتظم في سياقات إنتاجية.

سادسًا: قدَّم الخطاب الأخلاقي عند ابن طاووس زادًا تداوليًّا للمتلقي ذا قيمة عالية، فيه مجموعة من النصائح والفضائل الأخلاقية لا تصدر إلا من عرفاني كبير، وأخلاقي عظيم.

سابعًا: كان ابن طاووس متَّجهًا نحو وضع أسس وركائز ثابتة للتواصل والتحاوُر بوصفها مقاربتين تداوليَّتين خاصَّتين للخطاب الملفوظ، يمرُّ معرفةً بين المتكلِّم والسامع، ويطمحُ إلى استكشاف الطرق التي يشتغل بها الخطاب في كليته من أجل تمرير هذه المعرفة التي يحملها.

ثامنًا: أراد ابن طاووس في خطابه الأخلاقي التبليغ والتواصل والتراحم من أجل محاكاة الواقع، وتقريب الصور وملاطفة المجالات التداولية ومغازلتها، فعناصر التواصل والتفاعل والإبلاغ حاضرة في أفعاله وأقواله، ولا بدَّ من تسويد القيم الأخلاقية الإنسانية، وغرس الفضائل والشائِل الإسلامية الإنسانية السامية في أنحاء الحياة ومفاصلها كافة.

تاسعاً: ظهر أن الخطاب الأخلاقي الطاووسي كان ناجحاً تواصلياً وإبلاغياً وإقناعياً، بوصفه أباً عظيمًا، فقد أنفذ وصاياه لأولاده، وأهل بيته أجمع من جهة، وبوصفه نقيباً للطالبيين، أصبح فعله كلامياً فعلاً منجزاً.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

- (١) ينظر: أخلاقنا في حاجة إلى فلسفة أخلاقنا بديلة، إدريس هاني: ٨٧-٨٨. (المعنى النيتشي: نسبة إلى فريديريك نيتشه (ت ١٩٠٠ م) الفيلسوف والأديب الألماني الذي فكر وكتب في الإنسان ومصيره، والأخلاق وقيمتها، كان ابن قسيس وحفيد وأراد أن يكون قسيساً فكان في حادثته مستمسكاً بالدين، ثم خرج على الدين والأخلاق بمتتهى الشدة داعياً إلى تجاوز وهم الأخلاق).
ينظر: موسوعة عالم السياسة، أسعد مفرج: ١٨١/٢.
- (٢) ينظر: أخلاقنا في حاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة: ٩٢.
- (٣) الخطاب الإسلامي إلى أين؟ حوارات وحيد تاجا (مقدمة بقلم الدكتور طه عبدالرحمن): ٢٠.
- (٤) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٣٦٧/٣.
- (٥) ينظر على سبيل المثال: السراج الوهّاج: ١٢٧.
- (٦) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود: ٢٠.
- (٧) ينظر: التداوليّة اليوم: ٣٢-٣٣.
- (٨) ينظر: تداوليّة قبل التداوليّة (هي تداوليّة قروسطيّة عربيّة إسلاميّة) (بحث)، بيار لاشي، ترجمة: د. عز الدين المجدوب: ٤٩٩.
- (٩) ينظر: الاستلزام الحواريّ في التداول اللسانيّ، العياشيّ أدواري: ٧٧.
- (١٠) ينظر: الاستلزام الحواريّ في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليليّة تداوليّة)، حجر نورما وحيدة: ٦٧.
- (١١) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ١٠.
- (١٢) ينظر: التخيل وبناء الأنساق الدلاليّة (نحو مقارنة تداوليّة)، سعيد جبّار: ٦٠-٦١.
- (١٣) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكيّ: ١٦٦، والإيضاح في علوم البلاغة العربيّة: ١٣.
- (١٤) الإقبال بالأعمال الحسنة: ١١٧/٣.
- (١٥) ينظر: الأمر والنهي في اللّغة العربيّة، نعيمة الزهريّ: ١٤٣.
- (١٦) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٢٦٩/٣.
- (١٧) الإقبال بالأعمال الحسنة: ١١٧/٣-١١٨. (الفرامين: كلمة تركيّة بمعنى الكتب الموقّعة).

- (١٨) كشف المحجة لثمرة المهجة: ٧٢-٧٣.
- (١٩) سعد السعود: ٢٣٩.
- (٢٠) ينظر: الخطاب القرآني (القرآن مرجعيته للخطاب النهضوي)، الدكتور سعد كموني: ١٥١-١٥٢.
- (٢١) سعد السعود: ٢٥٠-٢٥١.
- (٢٢) سعد السعود: ٢٥١.
- (٢٣) ينظر: البعد التداولي للمبني للمجهول في القرآن الكريم (بحث)، الدكتور حسين عليّ حسين الفتلي: ١٩٩.
- (٢٤) سعد السعود: ٤٠٩-٤١٠.
- (٢٥) ينظر: معاني القرآن: ٢/٢٣٨.
- (٢٦) سعد السعود: ٦٠٧، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٣٨.
- (٢٧) ينظر: كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، محمد حسن القزويني: ٥٣٠، والأخلاق، عبد الله شبر: ١٥.
- (٢٨) سعد السعود: ٤٨٥.
- (٢٩) ينظر: الاستلزام الحوارية في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، حجر نورما وحيدة: ٦٧.
- (٣٠) سعد السعود: ٥٩٥-٥٩٦، وينظر: معاني القرآن، الفراء: ١/٣٦.
- (٣١) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٩٥.
- (٣٢) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس هويمل: ١٣٧.
- (٣٣) سعد السعود: ٤٤٣، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٩/١٥٣.
- (٣٤) سعد السعود: ٤٤٣.
- (٣٥) سعد السعود: ٥٦٥، وينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني: ٨٦-٨٧.
- (٣٦) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي: ١٤٣.
- (٣٧) مهج الدعوات ومنهج العناية: ٣٢٩-٣٣٠.
- (٣٨) ينظر: العدة في أصول الفقه، أبو جعفر الطوسي: ١/١٦٥-١٦٦، وشرح في علم الأصول (شرح الآخوند للكفاية بقلم تلميذه الخوئيني): محمد شقير: ٢٠٤-٢٠٥.
- (٣٩) سعد السعود: ٥٦٥، وينظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار أحمد الهمداني: ١/٣١٢-٣١٣.
- (٤٠) التداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي: ٤٠.
- (٤١) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ١٥٢، الطراز: ٣/٢٨٢.

- (٤٢) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ١٥٢.
- (٤٣) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٥٣/٣.
- (٤٤) تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري)، الطبري: ٣٣٧/٢، وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٥٢/٢.
- (٤٥) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٦٢/٣.
- (٤٦) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٧٠/١.
- (٤٧) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٤٢١/١.
- (٤٨) سعد السعود: ٢٥٠.
- (٤٩) ينظر: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح زكي: ١٩١.
- (٥٠) ينظر: على سبيل المثال مفتاح العلوم، السكاكي: ٣٢٠، والطراز، العلوي: ٢٧٤/٣، والإيضاح في علوم البلاغة العربية، القرويني: ٨٥.
- (٥١) الإقبال بالأعمال الحسنة: ٤٢١/١.
- (٥٢) جمال الاسبوع بكمال العمل المشروع: ١٠٩.
- (٥٣) كشف المحجة لثمره المهجة: ١٧٧.
- (٥٤) ينظر على سبيل المثال: مفتاح العلوم، السكاكي: ١٥٠، والطراز: ٢٨٦/٣.
- (٥٥) فن البلاغة، د. عبدالقادر حسين: ١٣٧.
- (٥٦) ينظر على سبيل المثال: مفتاح العلوم: ١٤٩، والطراز: ٥٣٢، والإيضاح في علوم البلاغة العربية: ١٣٧/١.
- (٥٧) كشف المحجة لثمره المهجة: ٥٣.
- (٥٨) كشف المحجة لثمره المهجة: ٦٥.
- (٥٩) كشف المحجة لثمره المهجة: ٧٤ ٧٣.
- (٦٠) جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: ١١٨.
- (٦١) كشف المحجة لثمره المهجة: ٨٠.
- (٦٢) كشف المحجة لثمره المهجة: ٩٥.
- (٦٣) ينظر: السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجاً) (بحث): د. رحيم الشريفي، ود. حسين المحنّ: ١٥٠-١٥١.
- (٦٤) كشف المحجة لثمره المهجة: ٩٧.
- (٦٥) مهج الدعوات ومنهج العناية: ٣١٢-٣١٣.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأخلاق، عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، (د.ت).
٢. أخلاقنا في حاجة الى فلسفة أخلاقنا بديلة، إدريس هاني، الطبعة الأولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٣. الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، العياشي أدراوي، الطبعة الأولى، دار الأمان، المغرب، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م.
٤. الاستلزام الحوارية في سورة البقرة (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، حجر نورما وحيدة، جامعة مولانا مالك إبراهيم، مالانج، أندوسيا، ٢٠١٠ م.
٥. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٦. الأمر والنهي في اللغة العربية، نعيمة الزهري الأنصاري، مؤسسه الثقيلين لإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
٧. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزوي، دار إحياء علوم التراث، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.
٨. البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح زكي، الطبعة الأولى، غزة، ٢٠٠٧ م.
٩. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م.
١٠. التخيل وبناء الأنساق الدلالية (نحو مقارنة تداولية)، الدكتور سعيد جبار، الطبعة الأولى، مطبعة رؤية، مصر، ٢٠١٣ م.
١١. التداولية اليوم، آن ومرشلار جاك، ترجمة: سيف الدين دغفوساميكو، ومحمد الشيباني، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣ م.
١٢. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،

- مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٣. جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، دار الرضي، قم المقدسة، إيران، (د.ت).
١٤. الخطاب الإسلامي إلى أين؟ حوارات وحيد تاما (مقدمة بقلم الدكتور طه عبد الرحمن)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٥. الخطاب القرآني (القرآن مرجعته)، الدكتور سعد كئوني، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٦. السراج الوهّاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج، الفاضل القطيفي (ت ٩٠٥هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٣هـ.
١٧. سعد السعود، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر الحسيني، ابن طاووس، منشورات الرضي، مطبعة أمير، قم، ١٣٦٣هـ.
١٨. شروح في علم الأصول (شرح الآخوند للكفاية بقلم تلميذه الخوئي) ترجمة: الشيخ محمد شقير، الطبعة الأولى، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
١٩. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليميني (ت ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلميّة، (د.ت).
٢٠. العُدّة في أصول الفقه، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، الطبعة الأولى، ستاره، قم، ١٤١٧هـ.
٢١. فن البلاغة، د. عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٢٢. الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ابن الأثير) (ت ٦٣٠هـ)، مراجعة: الدكتور سمير شمس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.
٢٣. كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء (في علم الأخلاق)، محمد حسن القزويني، الطبعة الأولى، دار الحوراء، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٢٤. كشف المحجّة لثمره المهجة، رضي الدين ابن طاووس، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
٢٥. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، الطبعة الأولى، مطبعة الثقافة الدينية، ٢٠٠٩م.
٢٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الحسن الطبرسي، الطبعة الثانية، مؤسّسة الأعلمي

- للمطبوعات، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
٢٧. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، باديس لهويميل، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، الأردن، ٢٠١٤م.
٢٨. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٢٩. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.
٣٠. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، الطبعة الأولى، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٢م.
٣١. مهج الدعوات ومنهج العناية، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤هـ)، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٣٢. موسوعة عالم السياسة (تعريف شامل بالسياسة فكرياً وممارسةً)، أسعد مفرج، الطبعة الأولى، دار نوبلس، بيروت، ٢٠١١م.
٣٣. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

البحوث والدراسات

٣٤. البعد التداولي للمبني للمجهول في القرآن الكريم، الدكتور حسين علي حسين الفتلي، مجلة دواة، العدد السابع، المجلد الثاني، العتبة الحسينية المقدسة، شباط، ٢٠١٦م.
٣٥. تداولية قبل التداولية (هي تداولية قروسطية عربية إسلامية)، ييار لارشي، ترجمة: الدكتور عز الدين المجدوب، منشور في (إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين) (مختارات معربة)، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، ٢٠١٢م.
٣٦. السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجاً) الدكتور رحيم كريم الشريف والدكتور حسين علي المحني، مجلة دواة، العدد الثالث، المجلد الأول، العتبة الحسينية المقدسة، شباط، ٢٠١٥م.